



## المبادئ الدستورية عند الشيعة من خلال أقوال الإمام على الرضا (ع)

پدیدآورده (ها) : محمود مکی، حسین

ادیان، مذاهب و عرفان :: العرفان :: مهر 1362 - شماره 718 و 719

از 43 تا 52

آدرس ثابت : <http://www.noormags.ir/view/fa/articlepage/312216>

دانلود شده توسط : رسول جعفریان

تاریخ دانلود : 25/06/1396

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) جهت ارائه مجلات عرضه شده در پایگاه، مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اساس همه حقوق مادی برآمده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تألیفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشر و عرضه مقالات در قالب نوشتار و تصویر به صورت کاغذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتالی که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشد، نیازمند کسب مجوز لازم، از صاحبان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) می باشد و تخلف از آن موجب پیگرد قانونی است. به منظور کسب اطلاعات بیشتر به صفحه قوانین و مقررات استفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.



پایگاه مجلات تخصصی نور

# المبادئ الدستورية عند الشيعة من خلال أقوال الإمام علي الرضا (ع)

بِسْمِ

حسين محمود هكبي

في الحديث عن المبادئ الدستورية عند الشيعة من خلال أقوال الإمام جعفر الصادق (ع) ذكرنا ما يتعلق بكيفية اختيار الموضوع وطريقة معالجته في كل من نهج البلاغة وعاشوراء والصحيفة السجادية، وفي أقوال الإمامين الصادق والرضا (ع) وفي غيبة الإمام المهدي المنتظر (ع) وما يتعلق بمبادئ القانون الدستوري، والدولة، وتكوينها، والحكومة وأشكالها، والمبادئ الأساسية لحقوق الأفراد وحررياتهم ومصادر هذه القواعد والمبادئ في القوانين الوضعية والشريعة الإسلامية.

وما نحن في هذا المقال نحاول أن نستخرج من أقوال الإمام الرضا (ع) وسيرة حياته الحافلة بالأحداث ما يعتبر مبادئ دستورية في موضوع كل من الدولة وتكوينها والحكومة وأشكالها والخلافة والإمامة والوزارة وحقوق الأفراد.

ولد الإمام الرضا (ع) في المدينة سنة ١٥٣هـ. وتوفي في طوس - خراسان سنة ٢٠٣هـ وتختلف الروايات حول تاريخ ولادته ووفاته وبالتالي حول عمره. ومن الواضح أنه عاش في فترة حافلة بالتيارات الفكرية والثقافية والعلمية والفلسفية والأحداث السياسية والعسكرية المصرية والهامة في عمر الدولة العباسية.

ونتيجة لذلك تعرض الإمام الرضا لظروف صعبة تحملها وتغلب عليها وتجاوزها بما أوتي من الحكمة والموعظة الحسنة وقد لقب بالصابر والوفي والزكي والولي واشتهر بالرضا لأنه كما قيل كان رضى الله ورضى لرسوله والأئمة من بعده، رضى به الجميع المخالفون من أعدائه والمؤمنون من أوليائه ولم يكن ذلك لغيره. وقيل أنه لقب بالرضا لأنه رضى بولاية العهد من المأمون وقيل أنه نقش على خاتمه «أنا ولي الله» أو «حسي الله» أو «ما شاء الله

لا قوة إلا بالله»، «وولي الله». . وفي القولين تفسر للكثير من المبادئ الدستورية عند الشيعة من خلال حياة الإمام الرضا (ع) قولاً وعملاً.

بالإضافة إلى صبره ووفائه وزكاته اشتهر الرضا بصفات مميزة كثيرة، فقد كان تام الخلق، من أهل الفضل والعلم مع شرف النسب، تواترت الأحاديث والأقوال على أنه كان «خير أهل الأرض ولم يكن بين الطالبين في عصره مثله» ولم يعرف من هو أتقى أو أفضل أو أحلم منه أو أكثر تواضعاً أو أكثر هيبه في قلوب الناس.

كان كثير المعروف كثير الصدقة كثير السخاء مارد أحداً عن حاجة، وما جفا أحداً بكلامه. لم يشتم أحداً، ولم يقطع حديث أحد، ولم يقطع أحد كلامه كان فيه وصل بارع وعلم نافع، وورع ظاهر وزهد خالص بالإضافة إلى مكارم الأخلاق وذكر الله والتخلي عن الدنيا والزهد في الحياة. كان حكيمًا عالمًا، لم يسأل عن شيء قط إلا علمه، لم يكن أفصح منه في عصره ولا أعلم منه بما في الزمان الأول إلى وقته وعصره، يكلم الناس بلغاتهم، ما رآه عالم إلا شهد له بذلك. فكان لا ينزل بلداً إلا قصده الناس يستفتونه في معالم دينهم فيجيبهم ويحدثهم وكان كلامه انتزاعات من القرآن المجيد الذي كان يتمثل به. وقد زادت المسائل التي أجاب عنها عن ١٨ ألف مسألة.

مركز تحقيقات موتور علوم راسدي

كان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيبه وقد جمع أعلم خلفاء بني العباس لمناظرتة ومناقشته فلم يفلح، فانقاد له اضطراراً حتى جعله ولي عهده وزوجه ابنته وقال عنه «هذا خير أهل الأرض وأعلمهم وأعبدهم» وخاطبه وهو يعرض عليه الخلافة: «قد عرفت علمك وزهدك وفضلك وورعك وإدراكك وأنت أحق بالخلافة مني».

أما قضية اختيار الإمام الرضا لولاية العهد في زمن المأمون فهي الحدث الأهم في حياته لأنه حافل بالمعاني والمبادئ الدستورية من وجهة النظر الشيعية في أمور الحكم والخلافة والإمامة وولاية العهد وطريقة التعامل مع الأفراد وحقوقهم وواجباتهم وغير ذلك من أمور. وفي موضوع ولاية العهد فقد أراد المأمون أن يخلع نفسه من الخلافة ليقلدها للرضا (ع) فأعرض الرضا فاستدعاه المأمون وحدثه في أمور كثيرة كما ذكرت كتب التاريخ وبعد تردد قبل الرضا على أن «لا أمر ولا أنهي ولا أفني ولا أقضي ولا أولي ولا أعزل ولا أغير شيئاً مما هو قائم» فاجابه المأمون.

ومن المعروف أن الخلاف الذي وقع بين الأمين وأخيه المأمون بسبب الخلافة وولاية العهد كان خلافاً دموياً نذر فيه المأمون أن أظفره الله بالأمين أن يجعل الخلافة في أفضل آل أبي طالب فلما استتب له الأمر استدعاه وعرض عليه الخلافة ثم ولاية العهد.

ويذكر المؤرخون كثيراً عن تشيع المأمون الذي كان من الأسباب التي دفعته إلى إسناد ولاية العهد للرضا وتزويجه ابنته. . كما يذكرون الكثير عما كان يدور في مجالس المأمون عن هذا الموضوع وعن مشاركته فيه، من ذلك أنه كان من أصحاب المناشدة والاحتجاج بحديث الغدير، ولما سمع قصيدة دعبل الثائية بكى حتى اخضلت لحيته. ومنها أنه أنشد شعراً في الإمام علي (ع) يقول فيه:

الإمام علي حب الوصي أبي الحسن      وذلك عندي من عجائب ذي الزمن  
خليفة خير الناس والأول السني      أعان رسول الله في السر والعلن

ومنها أنه حين قال ابن ماهان عن أهل البيت أنهم «طينة عجنت بماء الرسالة وغرست بماء الوحي ينفع منها مسك الهدى وعنبر التقى» «دعا المأمون بحقه فيها لؤلؤة فحشا فاه».

ولما بدأ الناس في تأويل سبب البيعة للرضا قال المأمون «أيجسر أحد أن يجيء إلى خليفة قد استقامت له الرعية فيقول له إُدفع الخلافة من يدك إلى غيرك. . أيجوز هذا في العقل. . . ولكن أخي محمد حين أمرني بالقدوم إليه وأبیت عليه عقد لابن همام وأمره أن يقيدني بقيد ويجعل الجامعة في عنقي. ولم يكن لي قوة ولا مال، ورأيت من قوادي ورجالي الفشل والجبن فلم أجد وجهاً أفضل من أن أثوب إلى الله من ذنوبي وأستعير وأستجير به فصليت ودعوت واستجرت وعاهدته عهداً وثيقاً بنية صادقة أن أفضي إلي بهذا الأمر وكفاني عاديته أن أضع هذا الأمر في موضعه الذي وضعه الله عز وجل فيه. فلم يزل أمرني يقوى حتى كان من أمر محمد ما كان وأفضى الله إلي بهذا الأمر فأحببت أن أفي بما عاهدته فلم أر أحداً أحق بهذا الأمر من الرضا فوضعتها فيه فلم يقبلها إلا على ما قد علمت».

ورويت أخبار أخرى عن سوء نية المأمون في أمر البيعة. منها أنه جعل ولاية العهد من بعده للرضا ليرى الناس أنه راغب في الدنيا فيسقط محله في نفوسهم. فلما لم يفلح سلط عليه فرق المسلمين المخالفين له ليقطعه فلم يفلح لأن الرضا لم يناقش عالماً إلا قطعه وألزمه الحجة حتى قيل أنه أولى بالخلافة. . فلم يجد المأمون بدا من القضاء عليه فسد له السم».

وروي أن المأمون قال في تبرير البيعة «كان هذا الرجل مستتراً عنا يدعوا إلى نفسه فأردنا أن نجعله ولي عهدنا ليكون دعاؤه إلينا وليعترف بالملك والخلافة لنا ويعتقد فيه المفتنون به أن ليس مما ادعى به قليل أو كثير، وإن هذا الأمر لنا من دونه، وقد خشينا بأن تركناه على تلك الحالة أن تنشق علينا منه ما لا نسده ويأتي علينا منه ما لا نطيعه. والآن وقد أشرفنا على ما أشرفنا فليس يجوز التهون في أمره. ولكننا نحتاجه أن نضع منه قليلاً قليلاً حتى نصوره عند الرعية بصورة من لا يستحق هذا الأمر».

ويحكى أن الفضل بن سهل ذو الرياستين، حين عرض المأمون الخلافة على الرضا ورفضها، قال «ما رأيت خلافة قط كانت أضيع منها». أمير المؤمنين يعرضها والرضا يرفضها ويأبى» ومن المعروف أن الحل كان الخلافة للمأمون. وولاية العهد للرضا والوزارة للفضل.

أما في سبب قبول الرضا للبيعة فقد ذكر أنه قال: «يوسف سأل العزيز أن يوليه... إجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم وأنا أجبرت على ذلك وأنا حفيظ عليم حفيظ لما في يدي عالم بكل لسان وأنه علم بكراهيتي لهذا الأمر ولكني خيرت بين القتل والقبول وقد دفعتني الضرورة مثل يوسف إلى ذلك على إكراه وإجبار» وقال أيضاً «ما حملني على قبول ولاية العهد ما حمل جدي أمير المؤمنين على دخول الشورى» ويروي أن المأمون أشار إلى ذلك في معرض التهديد.

وحين عرض عليه المأمون الخلافة قال له: «إن كانت هذه الخلافة لك وقد جعلها الله لك فلا يجوز أن تخلع نفسك مما أعطاك الله وتجعله لغيرك. وإن كانت الخلافة ليست لك فلا تجعل لي ما ليس لك».

وهذه مقاطع مما ورد في كتاب المأمون بولاية العهد للرضا: «هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارون الرشيد أمير المؤمنين لعلي بن موسى الرضا بن جعفر ولي عهده.. أن الله اصطفى الإسلام ديناً. واصطفى من عباده رسلاً حتى انتهت نبوة الله إلى محمد فختم به النبيين وأنزل كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فلما انقضت النبوة وختم الله بمحمد الوحي والرسالة جعل قوام الدين ونظام أمر المسلمين بالخلافة وإتمامها وعزها والقيام بحق الله فيها بالطاعة، فعلى خلفاء الله طاعته فيما استحفظهم واسترعاهم من دينه. وعلى المسلمين طاعة خلفائهم ومعاونتهم على إقامة حق الله وعدله، وفي خلاف ذلك اضطراب حبل المسلمين.. فحق على من استخلفه الله في أرضه واثمنه على خلقه أن يجهد لله نفسه ويؤثر ما فيه رضى الله وطاعته ويحكم بالحق ويعمل بالعدل وأنصحهم لله في دينه

وعباده من عمل بطاعة الله وكتابه وسنة نبيه في مدة أيامه وبعدها وأجهد رأيه ونظره فيمن يوليه عهده ويختاره لإمامة المسلمين ورعايتهم بعده. فإن الله جعل العهد بعد الخلافة في تمام أمر الإسلام وكماله وعزه وصلاح أهله وأهم خلفاءه من توكيده لمن يختارونه من بعدهم.. ولم يزل أمير المؤمنين (المأمون) منذ أفضت إليه الخلافة مختاراً لولاية عهده ورعاية الأمة من بعده أفضل ما يقدر عليه في ورعه ودينه وعلمه... مناجياً له في ورعه ودينه وعلمه.. مناجياً له تعالى بالإستخارة في ذلك.. معجلاً في طلبه والتماسه في أهل بيته من ولد عبد الله ابن العباس وعلي بن أبي طالب فكره ونظره حيث استقصى أمورهم فكانت خبرته بعد استجارته لله على بني موسى بن جعفر لما رأى من فضله البارِع وعلمه الناصع وورعه الظاهر وزهده الخالص وتخليه من الدنيا وتسلمه من الناس.. فعقد له بالعهد والخلافة من بعده إيثاراً له وللدِين ونظراً للإسلام والمسلمين وطلباً للسلامة وثبات الحق والنجاة في اليوم الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين. فبايعوا لأمير المؤمنين وللرضا من بعده بيعة مبسطة عالمين بما أراد أمير المؤمنين بها وأثر طاعة الله والنظر لنفسه ولكم شاكرين الله على ما ألهم أمير المؤمنين من قضاء حقه من رعايتكم وحرصه على رشدكم وصلاحكم راجين عائدة ذلك في جمع ألفتكم وحقن دمائكم ولم شعثكم وسد ثغوركم وقوة دينكم واستقامة أموركم».

(يوم الاثنين لسبع خلون من رمضان سنة إحدى ومائتين)

وقد كتب الإمام الرضا بخط يده على ظهر العهد: «أن أمير المؤمنين.. عرف من حقنا ما جهله غيره فوصل أرحاماً قطعت وآمن نفوساً فزعت مبتغياً رضى الله.. وأنه جعل إلى عهده والأمر الكبرى أن بقيت بعده فمن حل عقدة أمر الله بشدها وفصم عروة أحب الله إيثاقها فقد أباح حريمه وأحل محرمه إذ كان بذلك زار على الإمام متتهكاً حرمة الإسلام.. بذلك جرى السالف فصبر منه على العلقات ولم يعترض بعدها على العزمات خوفاً من شتات الدين واضطراب حبل المسلمين.. وقد جعلت له على نفسي، إذ استرعاني أمر المسلمين وقلدي خلافتهم، العمل فيهم بطاعة الله، وطاعة رسوله وأن لا أسفك دماً حراماً ولا أبيع فرجاً ولا مالاً إلا ما سفكته حدود الله وأباحته فرائضه وأن أتميز الكفاءة جهدي وطاقتي.. وما أدري ما يفعل الله في ولا بكم أن الحكم إلا الله يقضي الحق وهو خير الفاصلين لكفي امتثلت أمر أمير المؤمنين والله يعصمني وإياه».

وما جرى بعد ذلك خلال عامين منذ البيعة عام ٢٠١هـ. إلى الوفاة عام ٢٠٣هـ. فقد كان إقبالاً على الرضا من جهة وتحركاً ضد المأمون من جهة ثانية حتى قيل أن المأمون دس

السم للرضا وقتله. أما سبب ذلك فقد ورد في روايات كثيرة منها «أن الرضا كان يكثر من نصح المأمون ووعظه فكان المأمون يقبل ذلك ظاهراً ويسر الكراهية. وكان الرضا يصف مساوئ الحسن والفضل ابني سهل فجعل يدسان عليه لدى المأمون».

«ورأى المأمون اختلال السلطة ببيعة أهل بغداد لإبراهيم بن المهدي بسبب بيعة المأمون للرضا بولاية العهد. فخاف المأمون على ملكه فصمم على قتل الفضل بن سهل والرضا».

ومنها ما ذكرناه عن محاولة التأثير على منزلة الرضا في نفوس الناس وتسليط العلماء والفرق وحكاية الصبي من الأنصار الذي قدم البيعة بطريقة صحيحة كما وصفها الرضا مما دعا المأمون إلى الأمر بإعادة البيعة فقال الناس أنه لا يستحق الخلافة لجهله بأصول عقد بيعتها..»

والمبادئ الدستورية التي يمكن استخلاصها من التفاصيل التاريخية لسيرة حياة الإمام الرضا تناول ما يلي:

— صاحب الحق بأمر الخلافة وولاية العهد وأمره المسلمين وكيفية تحديده لا من حيث المبدأ والأصول فقط، بل من حيث الصفات اللازمة لذلك، (ومنها موضعها الذي، وضعه الله عز وجل، ولا يجوز التخلي عنه).. وصفات صاحب هذا الأمر (ومنها «طاعة الله في أمره، والحكم بالعدل وفقاً للكتاب، والابتعاد عما يثير الاضطراب والفتنة. والصبر على (العلاقات) والسكوت عن (العزومات) إذا كان فيها شتات الدين واضطراب أمر المسلمين ووالعصمة لولي الأمر تأتي من الله.

— الرعية واستتباب الأمر فيها واستقامتها لولي أمرها ودعوتها لتأييده كشرط أساسي لاستمرار الخلافة. وخوفاً من أن يظهر في وجه الولي ما لا يمكن سده.. ودور الرعية في نظام الولاية، والتلازم بين حق الوالي على الرعية وواجبه نحوها حتى لا يضطرب جبل المسلمين الذي لا يكتمل عزه إلا بإمامة سالحة ورعية سالحة. ومن هنا التركيز من الإمام الرضا كما سنرى على دور الرعية وصفات وأخلاق أفرادها كالإيمان والعقل والطاعة وحرية الرأي وقضاء حوائج الناس والتودد إليهم.

— محتوى سلطات الخلافة وولاية العهد في الأمر والنهي والفتيا والقضاء واختيار الممثلين له وعزلهم وتوزيع السلطات بين خلافة وولاية عهد ووزارة وقضاء وإدارة. ومحتوى نظام أمر المسلمين وعز الخلافة وإتمامها.

وأقوال الإمام الرضا (ع) بعد سيرته تشير أيضاً إلى ما يلي: «إن الإمامة هي أسّ الإسلام وفرعه النامي، وزمام الدين ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا وعز المؤمنين، تحتاج إلى حلم الحكم والفهم والنسخاء والمعرفة بما يحتاج إليه الناس». وهي من عند الله ولا يمنحها الأفراد.

«إن كانت هذه الخلافة لك وجعلها الله فيك فلا يجوز أن تخلع لباساً البسكه الله وتجعله لغيرك، وإن كانت ليست لك فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك.»

وإن الإمام هو «الحجة على عامة المؤمنين والقائم بأمر المسلمين والناطق بالقرآن الكريم، والعالم بأحكام الدين. غوث الأمة وغياتها ونورها وفهمها وحكمها».

وإن مهمة الإمام ودوره في الخلافة وحفظ الدين والمحافظة على حقوق الأفراد والدفاع عن أمن البلاد والقضاء وغيرها حده الرضا بقوله: «بمحقن الله به الدماء ويصلح به ذات البين ويلم به الشعب ويشعب به الصدع ويكسو به العاري ويشبع الجائع ويؤمن الخائف وينزل به الفطر ويأتمر به العباد. قوله حكم وصمته علم يبين للناس ما يختلفون فيه. به تقام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات وإقامة الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف والدعوة في سبيل الله بالموعظة الحسنة. فزع العباد في الداهية. الدال على الهدى والمنجي من الردى، الأمين الرفيق، الأخ الشفيق، مخصوص بالعلم ومرسوم بالحكم. فصل الخطاب في الفهم في الحكومات والفصل في الخصومات».

ومن مستلزمات هذا الدور «العمامة سلطان الله، والسيف عز الله، والكتاب نور الله، والعصا قوة الله، والخاتم جامع الأمور».

والدلالة على صاحب هذا الدور تكون باستجابة الدعوة، والحاجة إليه ضرورية لكي لا تبقى الأرض بغير إمام «فلو خلت الأرض من حجة طرفة عين لساخت بأهلها».

وعلى هذا النحو يكون تأييد الإمام من الواجبات من اتبعه كان رشيداً ومن شغل عنه يكون هويماً «وإن الله أعطانا من طاعته طاعة سائر خلقه».

أما واجباته وحقوقه: فهي القسط والعدل «إذا قال صدق وإذا حكم عدل وإذا وعد أنجز».

«إن لنا عليكم حقاً برسول الله ولكم علينا حقاً به فإذا أنتم أديتم إلينا ذلك وجب



علينا الحق لك.. فمن حل عقدة أمر الله بشدها وفصم عروة أحسب الله إيثاقها فقد أباح حريمه وأهل محرمه، إذا كان بذلك زارياً متتهكاً حرمة الإسلام»..

هذه هي الجوانب التي يتناولها كلام الإمام الرضا في موضوع نظام الحكم. وهناك مواضيع أخرى في شؤون الحكم كأمور الدفاع والأمن والتشريع المالي وحقوق الأفراد قال فيها الإمام الرضا ما يلي:

– في أمور الدفاع والأمن يقول الإمام الرضا (ع) أن النبي (ص) قال «ثلاثة أنا شفيعهم يوم القيامة معين أهل بيتي، والقاضي حوائجهم، والمحِب لهم بقلبه ولسانه، والدافع عنهم بيده» ويقول الرضا (ع) «الفرار من الزحف من الكبائر» والجهاد واجب مع الإمام العادل» ويقول «اصحب السلطان بالحدّز والصدّيق بالتواضع والعدو بالتحرز والعامّة بالبشر».

وحين أخبره المأمون بفتح بعض القرى خاطبه بقوله «سركَ فتح قرية من قرى الشرك. فإنك ضيقت أمور المسلمين وفوضت ذلك إلى غيرك يحكم فيها بغير حكم الله وقعدت في هذه البلاد وتركت بيت الهجرة ومهبط الوحي وأن المهاجرين والأنصار يظلمون دونك ولا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، ويأتي على المظلوم دهر بيعت فيه نفسه ويعجز عن نفقته فلا يجد من يشكو إليه حاله ولا تصل إليك فاتق الله في أمور المسلمين أن والي المسلمين مثل العمود في وسط الفسطاط من أرادته أخذه وأن الله سائلك عما ولاك».



يتبين من هذه الأقوال أن الدفاع عن المسلمين يستحق أجراً عظيماً هو شفاعة النبي، وهو واجب محتم أمام الإمام العادل والفرار منه من الكبائر والإمام العادل لا يجب أن يكتفي بالفتح بل يجب أن يقف في وسط الأمة كالعمود في الفسطاط يشرف على أمورها وينظم أمر الدفاع عنها وهو مسؤول عن ذلك. كما أنه المسلم يجب أن يحترز من عدوه. ومسؤولية الوالي الذي يتقلد السيف وهو عز الله، ويحمل العصا وهي قوة الله أن يوفر للرعية الدفاع عن حدودها والأمن في ربوعها بما أوتي من السلطة وبما تحمل من المسؤولية وبما عليه من الواجب وإقامة الجهاد في هذا السبيل ومنع الثغور والأطراف عن الأعداء.. ولكم علينا حقاً به».

– وفي التشريع المالي والنظام الاقتصادي يتناول الإمام الرضا في كلامه قضية أداء الحقوق كالخمس والزكاة، وقضية المال في مصادره واستقلاله وتنميته وفوائده وموقف الوالي من حقوق الرعية وردة فعل الناس على ذلك.

ومن المهمات المتوجبة على الإمام كما رأينا «إشباع الجائع وإقامة الزكاة وتوفير الفيء والصدقات». أمر الله بثلاثة مقرونة بثلاثة «الصلاة والزكاة، والشكر لله وللوالدين واتقاء الله وصلة الرحم». . . وإن كانت الزكاة بأهمية الصلاة ولكنها صعبة التحقيق «تلبون في أموالكم بإخراج الزكاة وفي أنفسكم بتوطينها على الصبر». هذا الأمر الصعب على الأنفس الذي يحتاج إلى صبر هو أمر لا بد منه مقارنة في أهميته للصلاة أما نتائج تحقيقه فهي للرعية بكاملها للفقراء والأغنياء». علة الزكاة من أجل قوة مال الفقراء وتمحصين مال الأغنياء. ومسؤولية الوالي في توفير الفيء وحفظ الحقوق لأصحابها تظهر في الحادثة التي تعرض لها المأمون بحضور الإمام الرضا (ع) حين دخل على المأمون صوفي أنهم بسرقة فذافع عن نفسه بقوله للمأمون: «اضطرت لذلك اضطراراً حين منعتني حقي في الخمس والفيء». فسأل المأمون الرضا رايه فقال (ع) «سُرِق فسرق». مسؤولية الوالي في الشؤون المالية أن يرمى تطبيق الأحكام وأن يوصل الحقوق إلى أصحابها وأن يوكل الأمور إلى أربابها.

ومصادر المال يجب أن تكون نظيفة شريفة، فالإمام الرضا يروي قوله جده النبي «إذا أكلتم الربا رُميتم بالخسف» ويقول «لا تدخل علينا شيئاً من خارج ولا تدخر عنا شيئاً في البيت ولا تجحف بالعيال». . «أول من يدخل النار أمير مسلط لم يعدل وذو ثروة من المال لم يعط المال حقه». والمحافظة على المال واجب، فمن قتل دون ماله فهو شهيد «والمال الحلال له دور في المجتمع وحياة الأفراد أفضل المال ما وفي به الفرض».

– وفي السلطة القضائية التي يتولاها الإمام، المبدأ الأساسي هو إقامة حكم الله بالعدل وفقاً للكتاب. وهي سلطة الإمام القائم بأمور المسلمين الناطق بأحكام الدين التي يعلمها، هو الذي يفهم الشريعة، ويصلح ذات البين، ويلم الشعب، هو الذي يقيم الحدود والأحكام. (فضل الخطاب في الحكومات والفصل في الخصومات).

– وفي حقوق الأفراد وما يتفرع عنها من مبادئ العدل الاجتماعي والمساواة والحقوق العامة والخاصة ومصالح الرعية والجماعة والحقوق الفطرية المرتبطة بالإنسان والأرض ومكارم الأخلاق ومكافحة الفقر والعوز والمرض والجهل فقد تعرض الإمام الرضا إلى كثير منها وركز في أولها على موضوع الإيمان وفصل بينه وبين الإسلام بقوله: «الإسلام غير الإيمان وكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً، وأصحاب الحدود مسلمون لا مؤمنون ولا كافرون» وهذا السعي لتركيز الإيمان في قلوب المسلمين يهدف إلى تركيز المبادئ الأساسية لمكارم الأخلاق في نفوس الرعية من أجل صلاح المجتمع ونجاة الأمة فالواضعات مترابطة بين

الوالي والرعية كما رأينا. ومن مكارم الأخلاق التي يعززها الإيمان ما ورد في قوله: «الإيمان داء الأمانة واجتناب الكبائر وهو معرفة بالقلب وإقرار باللسان.. ولا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى تكون فيه ثلاث خصال: التقية في الدين وحسن التقدير في المعيشة والصبر على الرزايا»... «انكم لا تشكرون الله عز وجل بعد الإيمان بالله وبعد الاعتراف بحقوق أوليائه بأحب إليه من معاونتكم لإخوانكم المؤمنين على دنياهم فإن من فعل ذلك كان من خاصة الله» هذا هو الإيمان المطلوب لفائدة المجتمع وهو في مرحلة أولى إيمان بالله واعتراف بحقوق أوليائه وفي مرحلة ثانية تعاون مع الإخوان في الدنيا.

المؤمن من هذا النوع «إتقوا فراسته فهو ينظر بنور الله».. إذا أغضب لم يخرج غضبه عن حق وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، وإذا قدر له لم يأخذ أكثر من حقه.. هذا المؤمن لا خوف منه في المجتمع ولا خوف عليه في الآخرة فهو هداية من الله وعمل لله. فيه ثلاث خصال سنة من ربه وهي كتمان سره وسنة من نبيه وهي مداراة الناس، وسنة من وليه وهي الصبر في البأساء والضراء إذا أحسن استبشر وإذا أساء استغفر».

وبعد الإيمان الطاعة فالإخلاص طاعة الله. ثم العقل «صديق كل امرئ عقله وعدوه جهله» أفضل العقل معرفة الإنسان، وليست العبادة كثرة الصيام والصلاة وإنما كثرة التفكير في أمر الله. ثم بعد هذا قضاء حوائج الناس والتودد إليهم «ان الرجل ليسألني الحاجة فأبادره بقضائها مخافة أن يستغني عنها فلا يجد لها موقعا إذا جاءته». «عونك للضعيف أفضل من الصدقة.. التودد إلى الناس نصف العقل».. ثم حرية الرأي للأفراد حق من حقوقهم وواجب على الوالي «ما أذفع عباد الله عن التحدث بنعم الله»... وبعد هذا الابتعاد عن الظلم ففيه الزوال «إذا ظلم أهل الملة ذهب الدولة».

حسين مكي

## آيات قرآنية

«من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا» ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما»

(سورة الأحزاب - الآيات ٢٣ - ٢٤)  
(صدق الله العظيم)